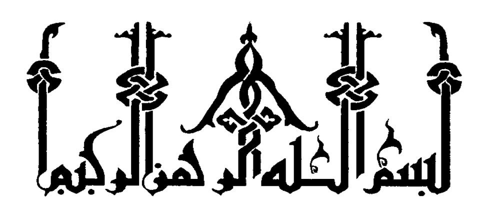
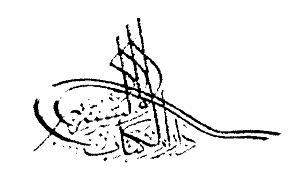
نبذة
من علوم القرآن

تأليف

العلامة الشيخ الدكتور/ محمد تقي الدين الهلالي


بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة
من علوم القرآن



الطبعة الأولي 19 /2007/2

لـ دار الكتاب والسنة

رقم الايداع بهيئة الكتب والوثائق القومية

2007/4506

دار الكتاب والسنة

للطباعة والنشر والتوزيع

المقر الرئيسي والإدارة ٩ شارع احمد اسماعيل متفرع من منشية التحرير من شارع جسر السويس عين شمس الشرقية – القاهرة جمهورية مصر العربية .

جوال : ٠٠٢٠١٠١٠٢١١٨٧ – ٠٠٢٠١٠4671439

فاكس : ٠٠٢٠١٠١٠٢١٠٥٢

موقعنا علي الإنترنت

www.dar-ketab-sunah.com

البريد الإلكتروني

Dar_alktabwalsunnah@hotmail.com

Dar_alketabwalsunnah@yahoo.com

info@dar-ketab-sunah.com

ترجمة العلامة الشيخ الدكتور محمد تقي الدين الهلالي

نسبه:

هو العلامة المحدث واللغوي الشهير والأديب البارع والشاعر الفحل والرحالة المغربي الرائد الشيخ السلفي الدكتور/ محمد التقي المعروف بـ محمد تقي الدين، كنيته أبو شكيب « حيث سمى أول ولد له على اسم صديقه الأمير شكيب أرسلان »، بن عبد القادر، ابن الطيب، بن أحمد، بن عبد القادر، بن محمد، بن عبد النور، بن عبد القادر، بن هلال، ابن محمد، بن هلال، بن إدريس، بن غالب، بن محمد المكي، بن إسماعيل، بن أحمد، ابن محمد، بن أبي القاسم، بن علي، بن عبد القوي، بن عبد الرحمن، بن إدريس، ابن إسماعيل، بن سليمان، بن موسى الكاظم، بن جعفر الصادق، بن محمد الباقر، ابن علي زين العابدين، بن الحسين، بن علي وفاطمة بنت النبي محمد ﷺ.

وقد أقر هذا النسب السلطان الحسن الأول حين قدم سجلماسة سنة ١٣١١ هـ .

نشأتـــه:

ولد الشيخ سنة ١٣١١ هـ بقرية «الفرخ»، وتسمى أيضا بـ «الفيضة القديمة» على بضعة أميال من الريصاني، وهي من بوادي مدينة سجلماسة المعروفة اليوم بتافيلالت الواقعة جنوبا بالمملكة المغربية. وقد ترعرع في أسرة علم وفقه، فقد كان والده وجده من فقهاء تلك البلاد.

رحلاته لطلب العلم وخدمته للدعوة:

قرأ القرآن على والده وحفظه وهو ابن اثنتي عشرة سنة ثم جوده على الشيخ المقرئ أحمد بن صالح ثم لازم الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله التندغي الشنقبطي فبدأ بحفظ مختصر خليل وقرأ عليه علوم اللغة العربية والفقه المالكي إلى أن أصبح الشيخ ينيبه عنه في غيابه، وبعد وفاة شيخه توجه لطلب العلم على علماء وجدة وفاس آنذاك إلى أن حصل على شهادة من جامع القرويين. ثم سافر إلى القاهرة ليبحث عن سنة المصطفى ﷺ، فالتقى ببعض المشايخ أمثال الشيخ عبد الظاهر أبو السمح، والشيخ رشيد رضا، والشيخ محمد الرمالي وغيرهم، كما حضر دروس القسم العالي بالأزهر ومكث بمصر نحو سنة واحدة

يدعو إلى عقيدة السلف ويحارب الشرك والإلحاد. وبعد أن حج توجه إلى الهند لينال بغيته من علم الحديث فالتقى علماء أجلاء هناك فأفاد واستفاد؛ ومن أجل العلماء الذين التقى بهم هناك المحدث العلامة الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري صاحب «تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي» وأخذ عنه من علم الحديث وأجازه وقد قرَّظه بقصيدة يُهيب فيها بطلاب العلم إلى التمسك بالحديث والاستفادة من الشرح المذكور، وقد طبعت تلك القصيدة في الجزء الرابع من الطبعة الهندية؛ كما أقام عند الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني نزيل الهند آنذاك، وقرأ عليه أطرافا من الكتب الستة وأجازه أيضا. ومن الهند توجه إلى الزبير «البصرة» في العراق، حيث التقى العالم الموريتاني السلفي المحقق الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، مؤسس مدرسة النجاة الأهلية بالزبير، وهو غير العلامة المفسر صاحب «أضواء البيان» واستفاد من علمه، ومكث بالعراق نحو ثلاث سنين ثم سافر إلى السعودية مرورًا بمصر حيث أعطاه السيد محمد رشيد رضا توصية وتعريفًا إلى الملك عبد العزيز آل سعود قال فيها: «إن محمدا تقي الدين الهلالي المغربي أفضل من جاءكم من علماء الآفاق، فأرجو أن تستفيدوا من علمه»، فبقي في ضيافة الملك عبد العزيز بضعة أشهر إلى أن عين مراقبا للتدريس في المسجد النبوي وبقي بالمدينة سنتين ثم نقل إلى المسجد الحرام والمعهد العلمي السعودي بمكة وأقام بها سنة واحدة. وبعدها جاءته رسائل من إندونيسيا ومن الهند تطلبه للتدريس بمدارسها، فرجح قبول دعوة الشيخ سليمان الندوي رجاء أن يحصل على دراسة جامعية في الهند، وصار رئيس أساتذة الأدب العربي في كلية ندوة العلماء في مدينة لكنهو بالهند حيث بقي ثلاث سنوات تعلم فيها اللغة الإنجليزية ولم تتيسر له الدراسة الجامعية بها. وأصدر باقتراح من الشيخ سليمان الندوي وبمساعدة تلميذه الطالب مسعود عالم الندوي مجلة «الضياء». ثم عاد إلى الزبير «البصرة» وأقام بها ثلاث سنين معلما بمدرسة «النجاة الأهلية» المذكورة آنفا. وبعد ذلك سافر إلى جنيف بسويسرا وأقام عند صديقه أمير البيان، شكيب أرسلان، وكان يريد الدراسة في إحدى جامعات بريطانيا فلم يتيسر له ذلك، فكتب الأمير شكيب رسالة إلى أحد أصدقائه بوزارة الخارجية الألمانية يقول فيها : «عندي شاب مغربي أديب ما دخل ألمانيا مثله، وهو يريد أن يدرس في إحدى الجامعات، فعسى أن تجدوا له مكانا لتدريس الأدب

العربي براتب يستعين به على الدراسة»، وسرعان ما جاء الجواب بالقبول، حيث سافر الشيخ الهلالي إلى ألمانيا وعين محاضرًا في جامعة «بون» وشرع يتعلم اللغة الألمانية، حيث حصل على دبلومها بعد عام، ثم صار طالبًا بالجامعة مع كونه محاضرًا فيها، وفي تلك الفترة ترجم الكثير من الألمانية وإليها، وبعد ثلاث سنوات في بون انتقل إلى جامعة برلين طالبًا ومحاضرًا ومشرفًا على الإذاعة العربية، وفي سنة ١٩٤٠م قدم رسالة الدكتوراه، حيث فند فيها مزاعم المستشرقين أمثال: مارتن هارثمن، وكارل بروكلمان، وكان موضوع رسالة الدكتوراه: «ترجمة مقدمة كتاب الجماهر من الجواهر مع تعليقات عليها»، وكان مجلس الامتحان والمناقشة من عشرة من العلماء، وقد وافقوا بالإجماع على منحه شهادة الدكتوراه في الأدب العربي. وأثناء الحرب العالمية الثانية سافر الشيخ إلى المغرب، وفي سنة ١٩٤٧م سافر إلى العراق وقام بالتدريس في كلية «الملكة عالية» ببغداد إلى أن قام الانقلاب العسكري في العراق فغادرها إلى المغرب سنة ١٩٥٩م. وشرع أثناء إقامته بالمغرب، موطنه الأصلي، في الدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك واتباع نهج خير القرون. وفي هذه السنة «سنة ١٩٥٩م» عين مدرسا بجامعة محمد الخامس بالرباط ثم بفرعها بفاس.

وفي سنة ١٩٦٨م تلقى دعوة من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة آنذاك للعمل أستاذًا بالجامعة منتدبًا من المغرب فقبل الشيخ الهلالي وبقي يعمل بها إلى سنة ١٩٧٤م حيث ترك الجامعة وعاد إلى مدينة مكناس بالمغرب للتفرغ للدعوة إلى الله، فصار يلقي الدروس بالمساجد ويجول أنحاء المغرب ينشر دعوة السلف الصالح. وكان من المواظبين على الكتابة في مجلة «الفتح» لمحب الدين الخطيب، ومجلة «المنار» لمحمد رشيد رضا رحم الله الجميع.

شيوخه:

من شيوخه رحمه الله :

- الشيخ محمد سيدي بن حبيب الله الشنقيطي
- الشيخ عبدالرحمن بن عبدالرحيم المباركفوري
- الشيخ محمد العربي العلوي
- الشيخ الفاطمي الشراوي

- الشيخ أحمد سوكيرج
- الشيخ محمد بن حسين بن محسن الحديدي الأنصاري اليماني
- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، غير صاحب «أضواء البيان»
- الشيخ رشيد رضا
- الشيخ محمد بن إبراهيم
- بعض علماء القرويين
- بعض علماء الأزهر

مؤلفاته:

مؤلفات الشيخ تقي الدين الهلالي رحمه الله كثيرة جدا وجمعها ليس بالأمر الهين لأنها ألفت في أزمنة مختلفة وبقاع شتى، **ومنها** :

- الزند الواري والبدر الساري في شرح صحيح البخاري [المجلد الأول فقط]
- الإلهام والإنعام في تفسير الأنعام
- مختصر هدي الخليل في العقائد وعبادة الجليل
- الهدية الهادية للطائفة التجانية
- القاضي العدل في حكم البناء على القبور
- العلم المأثور والعلم المشهور واللواء المنشور في بدع القبور
- آل البيت ما لهم وما عليهم
- حاشية على كتاب التوحيد لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب
- حاشية على كشف الشبهات لمحمد بن عبد الوهاب
- الحسام الماحق لكل مشرك ومنافق
- دواء الشاكين وقامع المشككين في الرد على الملحدين
- البراهين الإنجيلية على أن عيسى داخل في العبودية وبريء من الألوهية
- فكاك الأسير العاني المكبول بالكبل التيجاني
- فضل الكبير المتعالي «ديوان شعر»
- أسماء الله الحسنى «قصيدة»

- الصبح السافر في حكم صلاة المسافر
- العقود الدرية في منع تحديد الذرية
- الثقافة التي نحتاج إليها «مقال»
- تعليم الإناث وتربيتهن «مقال»
- ما وقع في القرآن بغير لغة العرب «مقال»
- أخلاق الشباب المسلم «مقال»
- من وحي الأندلس «قصيدة»

وفاته:

في يوم الاثنين ٢٥ شوال ١٤٠٧هـ الموافق لـ ٢٢ يونيو١٩٨٧م أصيبت الأمة الإسلامية بفاجعة ومصيبة يصعب على القلم وصفها، وهي مصيبة موت الشيخ تقي الدين الهلالي - رحمه الله - وذلك بمنزله في مدينة الدار البيضاء بالمغرب. وقد شيع جنازته جمع غفير من الناس يتقدمهم علماء ومثقفون وسياسيون.

وقد قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ الْعِلْمَ انْتِزَاعًا، يَنْتَزِعُهُ مِنَ الْعِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعِلْمَ بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُؤُوسًا جُهَّالاً فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**» رواه البخاري

فنسأل الله الكريم أن يرحم الشيخ رحمة واسعة ويدخله فسيح جناته



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب هدى وذكرى لأولى الألباب والصلاة والسلام على محمد وآله والأصحاب.

أما بعد: فإن تدريس علوم القرآن وتفسيره وعلوم الحديث ومتونه يشكو إلى الله الغربة في بلاد الإسلام وقد أعرض عنه الخاص والعام من المحترفين بالدين فضلا عن غيرهم. أما في المدارس فإن القرآن والحديث مجفوان كل الجفاء ومجهولان كل الجهل ومنبوذان وراء الظهور وإن كان اسم تدريسهما في المنهاج مسطورا فإنما هو اسم مجرد عن المعنى. وقد رأينا في الكليات من يدرس القرآن والحديث وعلومهما ولم يحضر فيهما درسا واحدا في حياته وإذا جلس للتدريس يقضي الوقت في اتخاذ القرآن هزوا ولعبا والطعن في الإسلام بما تقر به أعين المستعمرين وأعداء العرب والمسلمين ولما عينت مدرسا في كلية التحرير سنة ١٩٤٨ وجدت هناك أستاذا من أهل الغيرة على الدين وهو الأستاذ حسن محسن العاملي وأخبرني أنه أشار على العميدة في السنة التي قبلها بعدم تدريس القرآن والحديث أصلا قال لأن الذي تولي تدريسهما قبل ذلك كان من الذين يجهلون القرآن والحديث ويجهلون عليهما وذلك زيادة على ما فيه من جريمة اتخاذ كتاب الله هزوا ولعبا وإضلال الطالبات مضيعة للوقت والمال. قال لي ولما رأيتك قد عينت في هذه الكلية فرحت بتعينك وسأشير على العميدة في هذه السنة وكذلك على مجلس الأساتذة بتقرير تدريسهما في هذه السنة واقترح أن تكون أنت المدرس لهما وكذلك وقع. ومنذ ذلك الحين أخذت أدرس هذين العلمين اللذين بهما فخر العرب والمسلمين وقد درستهما أيضا في كلية الآداب بدعوة من عميدها مدة من الزمان. ثم رأي رئيس القسم أن يدعو إلى تدريسهما من لا يحسنهما ولا يعرفهما أصلا ليجر له مغنما على سبيل المحاباة.

وأمثال هذه التصرفات في العهد البائد حدث عنها ولا حرج ونرجو أن يوفق الله ولاة الأمور في هذا العهد الجديد عهد الثورة على الفساد والإجرام والتلاعب بالحقوق والواجبات إلى أن يعطوا كل ذي حق حقه ويصلحوا ما أفسده المفسدون.

ولما نقلت إلى كلية التربية – دار المعلمين العالية – قال لي عميدها إذ ذاك الدكتور خالد الهاشمي إنني مسرور جداً بنقلك إلى كليتنا لأننا في حاجة إلى أستاذ يدرس القرآن والحديث

بجدارة وتحقيق فأرجو أن تتولي تدريسهما فاستمررت ودرستهما أيضا في كلية الشريعة سنة ١٩٥٢ وفي هذه السنة أعنى سنة ١٩٥٨ وقد ألفت دروسا مناسبة لطلبة الجامعة وغيرهم من المبتدئين أجو أن ينفع الله بها من شاء من عباده وسميتها قبسة من أنوار الوحي وجعلتها أربعة أقسام ، القسم الأول نبذة من علوم القرآن والثاني تفسير سورة الفتح ، والثالث نبذة من علوم الحديث والرابع نبذة من الأحاديث مع شرحها شرحا يعالج مشكلات العصر الحديث وأمراض أهله. وقد اخترت سورة الفتح لتضمنها جهاد أعداء الحق من المشركين واليهود والمنافقين تذكرة لشبان هذا العصر بما بناه أسلافهم من مجد وما خلدوه من ذكرى في ميادين العزة والعدالة والأخلاق واسأل الله أن يجعل هذا الكتاب من الأعمال النافعة في الحياة وبعد الممات.

الدكتور محمد تقي الدين الهلالي
الأستاذ في كلية التربية

الباب الأول

تعريف القرآن وتنزيله

س١: ما هو القرآن؟

ج١: القرآن الكتاب الذي أنزل على محمد ﷺ المعجز بأقصر سورة منه.

س٢: متى ابتدأ نزول القرآن على النبي؟

ج٢: ابتدأ نزول القرآن على النبي في ليلة السابع عشر من رمضان من السنة الحادية والأربعين لمولده.

س٣: أين نزلت عليه أول آية من القرآن؟

ج٣: في غار حراء وكان يتحنث فيه أي يتعبد، وأول ما نزل عليه قوله تعالى: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾.

س٤: متى نزلت آخر آية من القرآن وما هي؟

ج٤: آخر ما نزل من القرآن على المشهور من الأقوال هو قوله تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ وكان ذلك يوم عرفة في السنة العاشرة للهجرة والثالثة والستين من عمره.

س٥: ما اسم الليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن على النبي ﷺ؟

ج٥: الليلة التي ابتدأ فيها نزول القرآن على النبي هي ليلة القدر التي قال الله فيها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ وقال فيها: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ (سورة الدخان) ولا نزاع أن هذه الليلة كانت في شهر رمضان قال تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَـٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ ﴾ (سورة البقرة).

س٦: هل كان النبي ﷺ يخص شهر رمضان بشيء من تعبده قبل نزول الوحي عليه؟

ج٦: روى ابن إسحق عن أبي قتادة الليثي أن النبي ﷺ كان يجاور في حراء من كل سنة

شهراً، وكان ذلك مما تتحنث به قريش في الجاهلية و(التحنث - التعبد).

س٧: هل توجد إشارة في القرآن إلى تاريخ نزوله؟

ج٧: قد أشار القرآن إلى تاريخ نزوله بقوله تعالى في سورة الأنفال: ﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ ﴾ والمراد بالجمعين الملتقيين جمع المسلمين وجمع المشركين في غزوة بدر وكان ذلك على ما رواه أهل السير في يوم السابع عشر من رمضان في السنة الثانية من الهجرة وهو اليوم الذي ابتدأ فيه ظهور الإسلام وانتصاره وعلو شأنه وعزة أهله وبزوغ شمسه، ففي هذا اليوم وفي هذا الشهر ظهر فجر الإسلام بنزول الوحي على رسول الله ﷺ وفيه آذن الله بنصره كما قال تعالى في سورة آل عمران: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴾.

س٨: كيف كان ختام الوحي؟

ج٨: تقدم أن آخر ما نزل على النبي من القرآن آية المائدة: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ الآية في السنة العاشرة من الهجرة. قال ابن جرير الطبري: لم ينزل على النبي ﷺ بعد هذه الآية تحريم شيء ولا تحليله ولم يعش النبي ﷺ بعدها إلا إحدى وثمانين ليلة(٨١).

الباب الثاني

تنجيم القرآن

س٩: كيف تلقي المشركون تنجيم القرآن؟

ج٩: تلقي المشركون تنجيم القرآن بالاعتراض والإنكار وقد قال الله تعالى في سورة الفرقان:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴾، وقال تعالى في سورة الإسراء: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾.

س١٠: هل يوجد في القرآن ما يدل على أن الله تكفل بحفظه من الضياع؟

ج١٠: نعم قوله تعالى: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ وقال تعالى في سورة الحجر: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾.

س١١: هل تحقق ما وعد الله به من حفظ القرآن من الضياع والزيد والنقص؟

ج١١: نعم، ولا يرتاب في ذلك إلا جاهل أو معاند مكابر كاليهودي «كولديت تسيهر» وأمثاله من الأعداء المكاشحين. وقد كفانا مئونة الرد عليهم العلماء المنصفون من الأوربيين «كمرماديوك بكثول» وديني غيرهما. وهذا من معجزات القرآن، فإن القرآن محفوظ من التغيير والتبديل والزيادة والنقصان، من عهد النبي ﷺ إلى يومنا هذا، وهو موجود يدرس في كل صقع، وتحت كل نجم في المعمورة أينما ذهبت تجده بحروفه لا يزيد حرفا ولا ينقص ولا يوجد كتاب في الوقت الحاضر ولا في الماضي يمتاز بهذه الفضيلة ويتحلي بهذه الصفة من الكتب المقدسة عند الأمم فكلها مختلفة ومشكوك في بعضها، ولم يوجد كتاب وعد الله بحفظه فيما نعلم إلا هذا الكتاب والله لا يخلف الميعاد.



الباب الثالث

المكي والمدني

س١٢: إلى كم ينقسم عهد نزول القرآن؟

ج١٢: ينقسم عهد نزول القرآن إلى مدتين متمايزتين.

س١٣: ما هي المدة الأولى؟

ج١٣: هي من ١٧ رمضان سنة ٤١ من مولده إلى أول ربيع الأول سنة ٥٤ من مولده وما نزل من القرآن في هذه المدة يسمي مكياً.

س١٤: ما هي المدة الثانية؟

ج١٤: هي ما بعد الهجرة وهي تسع سنين وتسعة أشهر وتسعة أيام من أول ربيع الأول سنة ٥٤ إلى تاسع ذي الحجة سنة ٦٣ من مولده وسنة عشر من الهجرة وما نزل من القرآن فيها يقال له المدني.

س١٥: كم هو مقدار المكي وكم هو مقدار المدني من القرآن؟

ج١٥: مقدار المكي نحو تسعة عشر من ثلاثين جزءاً، ومقدار المدني نحو أحد عشر من ثلاثين جزءًا.

س١٦: ما هي السور المدنية؟

ج١٦: ثلاث وعشرون سورة كما يلي:

(١) البقرة (٢) آل عمران (٣) النساء (٤) المائدة (٥) الأنفال (٦) التوبة (٧) الحج (٨) النور (٩) الأحزاب (١٠) القتال (١١) الفتح (١٢) الحجرات (١٣) الحديد (١٤) المجادلة (١٥) الحشر (١٦) الممتحنة (١٧) الصف (١٨) الجمعة (١٩) المنافقون (٢٠) التغابن (٢١) الطلاق (٢٢) التحريم (٢٣) إذا جاء نصر الله .

وما عدا ما ذكر فهو مكي.

س١٧: كم هو عد سور القرآن؟

ج١٧: مائة وأربع عشرة سورة. أولها الفاتحة وآخرها الناس (والسور في اللغة المنزلة من منازل الارتفاع):

قال الشاعر:

ألم تـر أن الله أعطـاك سـورة ترى كل ملك دونها يتذبـذب

كأنك شمس والملوك كواكـب إذا طلعت لم يبد منهن كوكـب

س١٨: كيف أخذت أسماء سور القرآن؟

ج١٨: لكل سورة من سور القرآن اسم خاص، أو أكثر من اسم فمنها ما أخذ اسمها من مطلعها وهو أكثر سور القرآن كسورة الأنفال فاتحتها ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ﴾ وسورة الإسراء فاتحتها ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا ﴾ وسورة طه فاتحتها ﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴾ ومنها ما أخذ اسمها من وسطها كسورة البقرة وآل عمران والمائدة والأنعام.

س١٩: كيف كان ينزل القرآن على النبي ﷺ من حيث الكثرة والقلة؟

ج١٩: كان ينزل على النبي ﷺ خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل، وقد صح نزول الآيات العشر الأول من سورة المؤمنين دفعة واحدة. وصح نزول غير أولي الضرر وحدها في سورة النساء في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ وصح نزول من الفجر وحدها في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ ﴾ وصح نزول سورة الأنعام دفعة واحدة.

س٢٠: هل تعلم النبي ﷺ القراءة والكتابة في مدرسة أو عند معلم؟

ج٢٠: لا، لم يتعلم النبي ﷺ القراءة والكتابة لا في مدرسة ولا عند معلم والدليل على ذلك قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ الآية. وفي سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾.

س٢١: كيف كان النبي يحفظ ما ينزل عليه من القرآن مع كثرته أحياناً؟

ج٢١: كان النبي ﷺ يتحمل شدة ويخاف أن يتفلت منه حتى نزل قوله تعالى في سورة القيامة: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ۝ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴾.

س٢٢: هل كان النبي ﷺ يعتمد على قوة حفظه وحدها في المحافظة على القرآن أم كان يأمر بكتابة ما يوحي إليه به فور نزوله زيادة على حفظه وحفظ أصحابه؟

ج٢٢: كان إذا تفهم الآيات وحفظها بلغها الناس فأمر كاتبا من كتابه أن يكتبها إما على عسيب (وهو جريدة النخل) وإما على لخفة (واللخفة: حجر رقيق) وإما على رقعة.

س٢٣: هل كان له كتاب معروفون وكم عددهم؟

ج٢٣: كان له كتاب معروفون يكتبون له وذكر بعضهم أن عددهم ستة وعشرون.

س٢٤: من هم أشهر هؤلاء الكتاب؟

ج٢٤: أشهر هؤلاء الكتاب الخلفاء الأربعة وعامر بن فهيرة وأبي بن كعب وهو أول من كتب له من الأنصار في المدينة وثابت بن قيس بن شماس وزيد بن ثابت ومعاوية بن أبي سفيان وأخوه يزيد والمغيرة بن شعبة والزبير بن العوام وكثير غيرهم.

س٢٥: أين كان يحفظ ما كتب من القرآن؟

ج٢٥: كان ذلك يوضع في بيت رسول الله ﷺ ويكتب الكتاب لأنفسهم صورة منه.

س٢٦: هل كانت الآيات التي تنزل توضع في سورة خاصة وفي موضع خاص بها أم كانت تضم إلى ما كتب كيفما اتفق؟

ج٢٦: كان رسول الله ﷺ يدلهم على موضع كل ما ينزل من الآيات ليضعوها في موضعها وفي سورتها.

س٢٧: ما هي أسباب حفظ القرآن حتى لم يضع شيء منه؟

ج٢٧: كانت حافظة الأميين وصحف الكاتبين والقرآن المكتوب في بيت رسول الله ﷺ كلها تتعاون على حفظ القرآن.

س٢٨: هل كان ترتيب الآيات توقيفيا لا توضع آية في موضع إلا بأمر من النبي ﷺ وهل اتفق العلماء على ذلك؟

ج٢٨: نعم لا نزاع بين العلماء في أن ترتيب الآيات توقيفي بأمر رسول الله ﷺ.

س٢٩: هل جمع القرآن كله في كتاب واحد قبل وفاة النبي ﷺ؟

ج٢٩: لا، كان القرآن مكتوبا فيما ذكر ومجموعا في بيت النبي ﷺ ولم يكن مجموعا في كتاب واحد.

س٣٠: هل وجد من الصحابة من يحفظ القرآن كله عن ظهر قلب أم كان ذلك النبي ﷺ وحده؟

ج٣٠: نعم، كان من القراء في العهد النبوي من جمع القرآن كله حفظا عن ظهر قلب منهم عبد الله بن مسعود وهو من السابقين الأولين وقد رافق النبي ﷺ في جميع زمن النبوة وسالم بن معقل وهو مولي أبي حذيفة وهو مثل عبد الله بن مسعود في تقدم الإسلام والمرافقة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وهؤلاء الأربعة من الأنصار وأبو الدرداء وغيزهم.

الباب الرابع

نزول القرآن

كيف كان ينزل القرآن على النبي

س٣١: هل لنزول القرآن أسباب ظاهرة؟

ج٣١: كان القرآن ينزل على النبي ﷺ جوابا لسؤال أو حلا لمشكلة توقف فيها وانتظر الحكم من الله تعالى.

س٣٢: هل نستطيع أن نجد دليلاً في القرآن على ذلك؟

ج٣٢: في القرآن آيات كثيرة تدل على ذلك كما في قوله تعالى: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ۗ ﴾ وقوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ۗ ﴾ وقال تعالى في آخر سورة النساء: ﴿ يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ ۚ إِنِ ٱمْرُؤٌا۟ هَلَكَ لَيْسَ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَهُۥٓ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ ۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ ۚ فَإِن كَانَتَا ٱثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ ۚ وَإِن كَانُوٓا۟ إِخْوَةً رِّجَالًا وَنِسَآءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ ٱلْأُنثَيَيْنِ ۗ ﴾.

وأما الحكم في مشكلة وقعت للنبي فانتظر نزول الوحي فيها فهو كثير فمن ذلك قوله تعالى في أول سورة النور: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾. وسبب نزولها أن بعض الناس اتهم بعض النساء فنزلت وثبت بها الحكم، وهو جلد القاذف، وكون شهود القذف أربعة.

س٣٣: هل كل آية في القرآن لها سبب معلوم يقيناً؟

ج٣٣: لا، بعض الآيات سببها معلوم يقيناً كما تقدم وبعضها مشكوك فيه وفيه اختلاف بين العلماء وبعضها لا يعلم سببه إلا الله. ولا توجد آية إلا ومراد الله بإنزالها هداية الخلق إلى مصالح دينهم ودنياهم.



الباب الخامس

مميزات المكي والمدني

س٣٤: هل هنالك علامات يجدها الباحث تميز المكي من المدني، والمدني من المكي، أم تمييز ذلك مقصور على الرواية؟

ج٣٤: هنالك مميزات يعرف بها المكي والمدني غير الرواية.

س٣٥: ما هي مميزات السور المكية؟

ج٣٥: الآيات المكية في الغالب قصيرة قد روعيت فيها الفواصل بخلاف المدني في الغالب، ومن ذلك أن المكي خال من الأحكام في الغالب وإنما هو تسبيح وتمجيد لله ومواعظ وتزهيد في الدنيا وترغيب في تزكية النفس وأمر بالصبر على أذى المشركين، وبيان لقبح الشرك ومحاربة للمشركين وضرب الأمثال في ذلك ففي سورة العنكبوت قوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ وفي سورة النحل ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ . وبيان الاستدلال بالمخلوقات على الخالق كقوله تعالى في سورة يونس: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَـٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴾ وفي سورة ق: ﴿ أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾ ومن ذلك قياس الشاهد على الغائب في الاستدلال على قدرة الله تعالى كما في آخر هذه الآيات قوله تعالى: ﴿ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴾ ومن ذلك ذكر الرسل السابقين وأممهم وما أصابهم من العذاب بسبب تكذيبها الرسل.

وليس في السور المكية أمر بالجهاد وما يتبعه من مسالمة ومهادنة، وأسر، وفدية، وصلح وجزية، وليس فيها ذكر للهجرة، ولا للقصاص والميراث أي بيان فرائضه ولا لإقامة الحدود.



الباب السادس

مميزات السور المدنية

س٣٦: ما هي مميزات السور المدنية؟

ج٣٦: أما السور المدنية فآياتها في الغالب طويلة قليلة الفواصل مملوءة بالأحكام والشرائع ففي سورة البقرة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ وفيها أيضا ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ۚ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ۚ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ۚ ﴾ الآية. وفي سورة التوبة ﴿ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ وفي سورة النساء ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾.

س٣٧: هل يختلف أسلوب السور المكية والسور المدنية من حيث البلاغة والأعجاز؟

ج٣٧: زعم بعض الأوربيين الذين ينظرون إلى القرآن بعينين إحداهما أوهنها الجهل باللغة العربية وأساليبها وبلاغتها، والأخرى أعماها التعصب الديني والسياسي والجنسي، زعم أن آيات السور المكية في غاية البلاغة والجمال، وأما آيات السور المدنية فهي ناقصة البلاغة. وحاول أن يعلل ذلك حسب عقيدته الفاسدة، بأن النبي كان في مكة رائق البال، صافي القريحة، غير مشغول بالحروب وتدبير شؤون الدولة. أما في المدينة فإن اشتغاله بأعباء تدبير الدولة جعل إنشاءه ناقصا في البلاغة، فهذا من الهذيان السخيف.

س٣٨: ما هو التعليل الصحيح لاختلاف أسلوب المكي وأسلوب المدني؟

ج٣٨: من المعلوم عند علماء البلاغة أن هناك مواضيع يحسن فيها السجع والتأنق في الألفاظ كالمقامات والخطب، وهناك مواضيع يحسن فيها الترسل كإنشاء القوانين، وفصل

الخصومات وذكر الواجبات: ففي هذه المواضيع وأمثالها لا يحسن أسلوب الخطب. بل ينبغي توفر السهولة والوضوح. ونحن نرى كتاب الرسائل عند الملوك والوزراء يسلكون مثل ذلك إذا كانوا حذاقا قد أوتوا شيئا من البيان وفصل الخطاب.

الباب السابع

جمع القرآن

س٣٩: من جمع القرآن ومتى جمع وما هو سبب جمعه؟

ج٣٩: روي البخاري في كتاب فضائل القرآن من صحيحه بسنده إلى زيد بن ثابت قال أرسل إلى أبو بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده. قال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشي أن يستمر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن، وإني أري أن تأمر بجمع القرآن قلت لعمر كيف نفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ قال عمر هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك، ورأيت في ذلك الذي رأي عمر، قال زيد قال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفوني بنقل جبل من الجبال ما كان أثقل على مما أمرني به من جمع القرآن. قلت كيف تفعلون شيئا لم يفعله رسول الله؟ قال هو الله خير فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر فتتبعت القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر في حياته، ثم عند حفصة بنت عمر.

س٤٠: إذا كان أبو بكر هو الذي جمع القرآن بعد وفاة النبي ﷺ في كتاب واحد، فماذا صنع عثمان بالقرآن؟

ج٤٠: روي البخاري بسنده أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان، يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصاري. فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف، فننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط

القرشيين الثلاثة، إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما أنزل بلسانهم ففعلوا حتى نسخوا الصحف في المصاحف ورد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق.

الباب الثامن

كيف كان نزول الوحي على النبي

س٤١: ما معني الوحي لغة واصطلاحا، وكيف كان يوحي إلى النبي ﷺ؟.

ج٤١: الوحي في اللغة له معان منها الإلهام والرسالة وفي الاصطلاح إنزال الله ما شاء من كلامه إلى رسله.

قال البخاري في أول صحيحه «باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ وقوله: ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾ سورة النساء». ثم روى بسنده إلى عائشة أن الحارث بن هشام سأل رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله: أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده على فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال وأحياناً يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول، قالت عائشة ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقا.

س٤٢: كيف كان أول الوحي إلى النبي ﷺ؟

ج٤٢: روي البخاري في صحيحه عن عائشة أيضاً قالت أول ما بدئ به رسول الله من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يري رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء فكان يخلو بغار حراء، فيتحنث فيه وهو التعبد في الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال اقرأ قال ما أنا بقارئ قال فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ فأخذني فغطني ثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال اقرأ قلت ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة ثم أرسلني فقال ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ، فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع فقال لخديجة واخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة كلا والله ما يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد

العزي ابن عم خديجة وكان امرأ قد تنصر في الجاهلية وكان يكتب الكتاب العبراني فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب وكان شيخا كبيرا قد عمي ، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك، فقال له ورقة: يا ابن أخي ماذا تري، فأخبر رسول الله خبر ما رأي، فقال له ورقة هذا الناموس الذي أنزله الله على موسى، يا ليتني فيه جذعا، ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك، فقال رسول الله ﷺ أو مخرجي هم؟ قال نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي وكذب وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً، فلم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي.

الباب التاسع

باب آداب قارئ القرآن

س٤٣: هل يجوز أن يتخذ القرآن وسيلة لغرض دنيوي؟

ج٤٣: لا يراد بالقرآن إلا وجه الله ومن أراد به غير ذلك فقد حرم التوفيق. قال البخاري في كتاب فضائل القرآن من صحيحه باب «من تأكل بالقرآن أو فخر به أو رايا به» ثم روي بسنده إلى على قال سمعت النبي يقول يأتي في آخر الزمان قوم حدثاء الأسنان، سفهاء الأحلام يقولون من خير قول البرية، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم فإن قتلهم أجر لمن قتلهم يوم القيامة.

وروى بسنده إلى أبي سعيد الخدري أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول يخرج فيكم قوم، تحقرون صلاتكم مع صلاتهم، وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية.

وروي بسنده عن أبي موسي عن النبي قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن ويعمل به كالأترجة طعمها طيب وريحها طيب، والمؤمن الذي لا يقرأ القرآن ويعمل به كالتمرة طعمها طيب ولا ريح لها، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن كالريحانة ريحها طيب وطعمها مر. ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كالحنظلة طعمها مر أو خبيث وريحها مر.



الباب العاشر

أسباب نزول القرآن

س٤٤: ما المراد بأسباب النزول؟

ج٤٤: تقدم في جواب السؤال الحادي والثلاثين، والثاني والثلاثين ما يوضح معني أسباب نزول القرآن فراجعه.

س٤٥: من هو أول من ألف في علم أسباب نزول القرآن؟

ج٤٥: قال السيوطي في كتاب الإتقان: أول من ألف في هذا العلم علي بن المديني شيخ البخاري، ثم تتابع الناس في التصنيف فيه ثم قال: وقد ألفت فيه كتابا سميته «لباب النقول في أسباب النزول».

س٤٦: ما فائدة هذا العلم؟

ج٤٦: قال السيوطي زعم زاعم أن هذا العلم لا طائل تحته لجريانه مجري التاريخ وأخطأ في ذلك، فله فوائد منها معرفة حكمة التشريع، ومنها تخصيص الحكم به عند من يقول إن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، ومنها أن اللفظ قد يكون عاماً ويقوم الدليل على تخصيصه، فإذا عرف السبب قصر التخصيص على ما عدا صورته فإن دخول صورة السبب قطعي وإخراجها بالاجتهاد ممنوع، ومنها الوقوف على المعني وإزالة الإشكال.

قال الواحدي: لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها، وكذلك قال ابن دقيق العيد وابن تيمية.

وحكي عن عثمان بن مظعون وعمرو ابن معدي كرب إنهما كانا يقولان الخمر مباحة ويحتجان بقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ ﴾ الآية. ولو علما سبب نزولها لم يقولا ذلك. وهو أن ناساً قالوا حرمت الخمر فكيف بمن قتلوا في سبيل الله أو ماتوا وكانوا يشربون الخمر وهي رجس، فنزلت. أخرجه أحمد والنسائي وغيرهما.

ومنها قوله تعالى: ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ﴾ - البقرة - ، فإنا لو تركنا مدلول اللفظ لاقتضي أن المصلي لا يجب عليه استقبال القبلة سفراً ولا حضراً، وهو خلاف الإجماع، فلما عرف سبب نزولها علم أنها في نافلة السفر أو فيمن صلي بالاجتهاد وبان له الخطأ على

اختلاف الروايات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ ﴾ فإن ظاهر لفظها لا يقتضي أن السعي فرض وقد ذهب بعضهم إلى عدم فرضيته تمسكا بذلك، وقد ردت عائشة على عروة في فهمه بسبب نزولها وهو أن الصحابة تأثموا من السعي بينهما لأنه من عمل الجاهلية فنزلت.

س٤٧: هل العبرة بعموم اللفظ أو بخصوص السبب؟

ج٤٧: اختلفوا في ذلك والصحيح أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، يعني إذا نزلت آية لسبب خاص هل يكون الحكم خاصاً بذلك السبب أم يتعدى إلى كل ما دل عليه اللفظ، الثاني هو الصحيح والأدلة على ذلك كثيرة نذكر منها أن آية الظهار نزلت في سلمة بن صخر. ولم تقتصر عليه بل تعدت إلى غيره.

س٤٨: ما هي آية الظهار؟

ج٤: هي الآية الثالثة والتي بعدها من سورة المجادلة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ﴾.

س٤٩: ما هو الظهار وما معنى هاتين الآيتين؟

ج٤٩: الظهار أن يقول الرجل لزوجته: أنت على كظهر أمي، يعني في الحرمة مبالغة في تحريمها على نفسه، وكانت العرب تقول ذلك إذا غضب أحدهم على زوجته، فأنزل الله الآيات الثلاث، هاتين الآيتين والتي قبلهما، وقوله ﴿ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُواْ ﴾ أي يريدون العودة إلى ما حرموا على أنفسهم.

﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ﴾: أي عتق رقيق مملوك.

﴿ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ﴾: أي قبل أن يستمتع كل منهما بالآخر. فمن لم يجد ما يحرر به رقبة فعليه أن يصوم شهرين صياما متتابعا بدون انقطاع فإن كان عاجزاً عن الصيام فعليه إطعام ستين مسكيناً.

س٥٠: من هو سلمة بن صخر الذي نزلت بسببه هذه الآيات وما قصته؟

ج٥٠: روى الإمام أحمد بن حنبل في مسنده بإسناده إلى سلمة بن صخر الأنصاري قال سلمة: لما دخل رمضان تظهرت من امرأتي حتى ينسلخ رمضان فرقاً من أن أصيب

منها – ما يؤدي إلى المحظور فلم أملك نفسي أن أصبت ما حرم – فغدوت على قومي وأخبرتهم خبري وقلت انطلقوا معي إلى النبي ﷺ فأخبره بأمري فقالوا لا والله لا نفعل نتخوف أن ينزل فينا أو يقول فينا رسول الله ﷺ مقالة يبقي عارها ولكن أذهب أنت فاصنع ما بدا لك قال فخرجت حتى أتيت النبي ﷺ فأخبرته خبري فقال أنت بذاك، فقلت أنا بذاك فقال لي أنت بذاك فقلت أنا بذاك قال أنت بذاك قلت نعم هاأنذا فأمض في حكم الله فأني صابر له قال اعتق رقبة قال فضربت صفحة رقبتي بيدي وقلت لا والذي بعثك بالحق ما أصبحت أملك غيرها قال فصم شهرين متتابعين قلت يا رسول الله وهل أصابني ما أصابني إلا في الصيام. قال فتصدق فقلت. والذب بعثك بالحق لقد بتنا ليلتنا هذه ما لنا عشاء قال اذهب إلى صاحب صدقة بني زريق فقل له فليدلعها إليك فاطعم عنك وسقاً من تمر ستين مسكيناً ثم استعن بسائره عليك وعلى عيالك. قال: فرجعت إلى قومي فقلت: وجدت عندكم الضيق وسوء الرأي، ووجدت عند رسول الله السعة والبركة، وقد أمر لي بصدقتكم، فادفعوها إلى فدفعوها إلي.

الباب الحادي عشر

حفظ القرآن

س٥١: ما هو حكم حفظ القرآن عن ظهر قلب؟

ج٥١: حفظ القرآن عن ظهر قلب فرض كفاية على الأمة الإسلامية صرح بذلك جماعة من العلماء. نقل صاحب الإتقان عن الجويني أنه قال والمراد بذلك أن لا ينقطع عدد التواتر فيه فلا يتطرق إليه التبديل والتحريف والزيادة والنقص، فإن قام بذلك قوم يبلغون هذا العدد سقط عن الباقين وإلا أثم الكل والظاهر أن هذا الفرض على أهل كل قطر من الأقطار المأهولة بالمسلمين.

س٥٢: ما حكم تعليم القرآن؟

ج٥٢: تعليم القرآن فرض كفاية أيضا على أهل كل قطر يسكنه جماعة من المسلمين؛ لأن ما لا يتم الفرض إلا به فهو فرض، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال خيركم من تعلم القرآن وعلمه.

ولذلك لا يجوز طلب الأجرة على تعليم القرآن.

س٥٣: كيف يكون تعلم القرآن؟

ج٥٣: يكون بالسماع من المعلم والقراءة عليه وهو يسمع إلى أن يشهد المعلم للقارئ بأنه مجود حسن التلاوة.

س٥٤: هل يتوقف الكمال في الأدب العربي على حفظ القرآن ومعرفة تجويده؟

ج٥٤: نعم لا ريب أن الأديب لا يكون كاملاً في الأدب العربي إلا إذا حفظ القرآن وجوده. لأن كتب الأدب تستشهد بألفاظ من القرآن فلا يستطيع الأستاذ ولا المتأدب أن يعرف وجه الاستشهاد إلا بمعرفة ما قبلها وما بعدها. وذلك ظاهر في شروح الألفية مثلا وفي غيرها من كتب علوم اللسان العربي. وقد بلغني أن لليسوعيين في لبنان شهادة في الأدب العربي لا يمنحها إلا من حفظ القرآن. ولا يخلو منهاج تعلم اللغة العربية في الجماعات الجرمانية من نصيب لا بأس به من القرآن .

س٥٥: لماذا جعلتم كل هذه الأهمية للقرآن من حيث الأدب العربي؟

ج٥٥: لا يخفي أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي بلغنا من كلام العرب بيقين. فلابد لمتعلم هذه اللغة من تعلمه كله أو بعضه للإطلاع على الأسلوب العربي وتذوق بلاغته وإلا كان ناقص الأدب.

س٥٦: لماذا قلتم أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي بلغنا من كلام العرب يقيناً؟ فماذا تقولون في حديث النبي ﷺ وفي أشعار العرب الجاهليين والإسلاميين؟

ج٥٦: أما الحديث فقد اختلف علماء اللغة والقواعد في الاحتجاج به لأن بعض الرواة يروونه بالمعنى لعدم حفظهم الألفاظ التي سمعت من النبي ولأن الحديث لم يكتب ويدون في كتب محفوظة إلا في العهد العباسي الذي لا يحتج بكلام أهله. وقد ذهب ابن مالك وجماعة إلى الاحتجاج به، وأما الشعر العربي ففيه شك لأنه لم يكتب ويجمع إلا بعد انقراض العرب الذين يحتج بكلامهم وأما ما قيل أن المعلقات السبع كانت مكتوبة ومعلقة في الكعبة فحديث خرافة وبذلك ترى صحة ما قلناه.

ثم إن القرآن هو أصل الأدب العربي لبلوغه حد الإعجاز في البلاغة ولما يشتمل عليه من العلوم والحكم والأمثال التي لا ينبغي للأديب أن يجهلها، وقد اشتغل الأجانب بمباحث القرآن فألفوا فيها كتباً كثيرة إذا أردت الإطلاع عليها فاقرأ ما كتب في الموسوعات عند لفظة «قرآن» فهو العار على أبناء العرب أن يكونوا أبعد عن هذا الكتاب وأجهل به من الأجانب.

الباب الثاني عشر

الناسخ والمنسوخ في القرآن

س٥٧: ما معني النسخ لغة واصطلاحاً وما مقدار عناية المسلمين به؟

ج٥٧: قال في الإتقان أفرده بالتصنيف جماعة نذكر بعضهم ثم قال: «قال الأئمة: لا يجوز لأحد أن يفسر كتاب الله إلا بعد أن يعرف منه الناسخ والمنسوخ».

والنسخ في اللغة يرد بمعني الإزالة ومنه قوله تعالى في سورة الحج ﴿ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ إشارة إلى قصة الغرانيق، وذلك أن النبي ﷺ قرأ سورة النجم حتى بلغ ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ۝ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴾، صاح أحد الشياطين تلك الغرانيق العلي، وإن شفاعتهن لترتجي فظن المشركون أن النبي ﷺ هو الذي قال ذلك ففرحوا به فلما فرغ النبي من قراءة السورة سجد فسجد معه المسلمون والمشركون جميعاً، فلما علم النبي أن ذلك الشيطان قال على لسانه ذلك الكلام المتضمن لمدح الأصنام اغتم لذلك فأنزل الله تعالى في سورة الحج ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾. ويأتي النسخ بمعني التحويل ومنه التناسخ في الفرائض بمعني تحويل الميراث من واحد إلى آخر.

والنسخ في الاصطلاح: إزالة الحكم كنسخ التوجه إلى بيت المقدس بالتوجه في الصلاة إلى الكعبة.

س٥٨: هل أجمع علماء المسلمين كلهم على وجود النسخ في القرآن؟

ج٥٨: جمهور علماء الإسلام يقولون بوجد النسخ في القرآن وأنكره أبو مسلم الخراساني، وزعمت اليهود أن النسخ لا يجوز لأنه بداء كالذي يري الرأي ثم يبدو له أنه باطل فيرجع عنه وذلك محال على الله وهو باطل لأنه بيان لمدة الحكم كالإحياء بعد الإماتة وعكسه، والمرض بعد الصحة وعكسه، والفقر بعد الغني وذلك لا يكون بداء فكذا الأمر والنهي. وقد جنح كثير من أهل هذا العصر إلى قول أبي مسلم فراراً من اعتراض اليهود وغيرهم من أعداء الإسلام قال بعضهم لا توجد آية في القرآن قيل بنسخها إلا وهناك

برهان قائم على إبطال القول بنسخها قال السيوطي وقال ابن الحصار إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله ﷺ أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا. قال مؤلفه إذا رفع الصحابي ذلك إلى النبي ﷺ فهو حجة وإما إذا قاله برأيه ولم يجمع عليه أصحاب رسول الله فليس بحجة. ثم قال ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينه لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهد النبي ﷺ والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد.

س٥٩: ما هي أشهر الآيات التي قيل بنسخها؟

ج٥٩: هي في سبعة مواضع في القرآن، وهي:

الأولى: من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ قيل نسخت بآية المواريث في سورة النساء ﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِىٓ أَوْلَٰدِكُمْ ۖ ﴾ إلى آخرها.

الثانية: من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ ﴾ . نسخها قوله تعالى بعدها: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ ﴾.

الثالثة: من سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ ﴾ الوصية منسوخة بآية المواريث.

الرابعة: من سورة النساء ﴿ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ ﴾. منسوخة بقوله تعالى في آخر سورة الأنفال: ﴿ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ۗ ﴾.

الخامسة: من سورة النساء: ﴿ وَٱلَّٰتِى يَأْتِينَ ٱلْفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمْ فَٱسْتَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ ۖ فَإِن شَهِدُوا۟ فَأَمْسِكُوهُنَّ فِى ٱلْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ منسوخة بآية النور: ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ ﴾.

السادسة: من الأنفال ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴾ قيل نسختها الآية التي بعدها ﴿ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

السابعة: من المجادلة قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴾ قيل أن الآية الثانية نسخت الأولى.

وقد تركنا ذكر الآيات التي نسخت حكما لم يثبت بالقرآن كآية التوجه في الصلاة إلى الكعبة نسخت استقبال بيت المقدس وهو ظاهر في آيات البقرة كقوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ ﴾ ولا ينبغي أن يحكم بالنسخ إلا بعد قيام البرهان القاطع والنقل الصحيح والتثبت.



تفسير سورة الفتح



سورة الفتح

مدنية وهي تسع وعشرون آية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ۝ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴾

التفسير

اختلف المفسرون في **الفتح** هنا ما المراد به فأكثرهم قولوا أنه صلح الحديبية لأنه كان سببا في انتشار الإسلام وتقلص ظل الشرك بسبب اختلاط المسلمين بأعدائهم المشركين بعد معاهدة الهدنة، وقيل هو فتح مكة الذي وقع بعد ذلك فيكون التعبير بالفعل الماضي عما سيقع في المستقبل دليلا على تحققه، وقيل هو فتح خيبر والأحسن أن يكون إشارة إلى هذه الفتوح كلها وغيرها.

والمبين: الواضح الذي لا لبس فيه، **والمراد بالذنب** هنا خلاف الأولى الذي يفعله النبي ﷺ اجتهادا منه كأخذ الفدية من أساري بدر، والأذن المنافقين في التخلف عن غزوة تبوك ونحو ذلك، وإتمام النعمة. بالنصر ودخول الناس في دين الله أفواجا وغير ذلك من النعم التي لا تحصى.

والصراط المستقيم: هو الإسلام أي يديم هدايته لك.

والنصر العزيز: البالغ الغاية.

يخبر الله نبيه محمداً ﷺ ويبشره بهذه الأمور التي أكرمه بها، وسمي الاستيلاء علي أرض الأعداء فتحاً لأن أرض العدو قبل ذلك كانت مغلقة في وجه المسلمين وبعد تغلبهم عليها صارت مفتوحة أمامهم وهذا من المعجزات لأنه إخبار بالفتح قبل وقوعه، وبالنصر العزيز وهو التام على الأعداء، وحين نزلت هذه السورة في غزوة الحديبية كان كثير من أصحاب النبي ﷺ يرون أن صلح الحديبية فيه ذلة للمسلمين وعزة لأعدائهم. وهذه الآيات تظهر خطأهم فكان الأمر كما أخبر الله تعالى وتوالت الفتوح على المسلمين ولم يزل الإسلام يحرز نصراً على نصر حتى عم بلاد العرب بأسرها وتجاوزها.

الآيات

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾

الألفاظ والتفسير

﴿ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ سكون القلب واطمئنانه وثقته بما وعد الله سبحانه من النصر والظفر.

﴿ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا ﴾ أي يقينا على يقينهم.

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ جمع جند، والمراد به كل ما في السماوات والأرض من الناس والجن والملائكة. ملكا وخلقا يتصرف فيهم كيف يشاء ويبلو بعضهم ببعض بالحروب.

﴿ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾ الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، جنات تجرى من تحتها الأنهار فيها من أنواع النعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

﴿ وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ أي: يغفر لهم ذنوبهم والواو لا تفيد تعقيباً ولا ترتيبا وإنما هي للجمع وتكفير الذنوب في الحقيقة سابق لدخول الجنة.

﴿ وَكَانَ ذَٰلِكَ ﴾ أي تكفير السيئات ودخول الجنة.

﴿ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ أي ظفرا بكل مطلوب ونجاة من كل مكروه.

﴿ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾ الذين يظهرون الإيمان ويبطنون الكفر والشر وهم شر من الكفار المجاهرين.

﴿ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ﴾ المعلنين لكفرهم.

﴿ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ إنه لا ينصر دينه ورسوله، وأن أعداء الإسلام سيستولون على بلاد الإسلام، ويقضون على المسلمين القضاء التام.

﴿ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ﴾ تدور عليهم بما يكرهون فيخيب الله ظنهم ويفضح أسرارهم فيلحقهم بذلك من الغم والحزن ما يكون عذابا عاجلا لهم ولعذاب الآخرة أخزى.

﴿ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ وبئس المصير هي.

الآيات

﴿ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾

التفسير

جنود السماوات والأرض وجميع القوى التي تهلك من شاء الله إهلاكه وتنصر من شاء الله نصره كلها ملك الله هو المتصرف فيها وحده ينصر بها من يشاء من أهل العدل والإحسان ويخذل بها من شاء وهم أهل الظلم والطغيان.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا ﴾ غالبا لا يرد بأسه عن القوم المجرمين.

﴿ حَكِيمًا ﴾ له الحكمة البالغة في خلقه وقدره وشرعه.

الآيات

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾

التفسير

﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ ﴾ الخطاب للنبي ﷺ.

﴿ شَٰهِدًا ﴾ على أمتك بما قابلوا دعوتك به من إيمان وطاعة وإتباع أو ضد ذلك.

﴿ وَمُبَشِّرًا ﴾ من أطاعك واتبعك بخير الدنيا والآخرة.

﴿ وَنَذِيرًا ﴾ محذرا من عصاك من العذاب والخزي في الدارين.

﴿ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الخطاب للنبي وأمته، ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ أي: تعظموا الله بامتثال ما أمر به واجتناب ما نهي عنه وطاعة رسوله.

﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ أي تجلوه، ﴿ وَتُسَبِّحُوهُ ﴾ أي تنزهوه عن صفات النقص وتقولوا سبحان الله وتذكروه بألسنتكم وقلوبكم.

﴿ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾ في أول النهار وفي أخره، البكرة أول النهار، والأصيل ما بعد الظهر والمراد هنا جميع الأوقات كما قال تعالى في سورة الكهف: ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾.

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ ﴾ البيعة عقد يعقده الشخص على نفسه بالطاعة والنصرة والإخلاص والنصح وقد جرت العادة أن يضع يده في يد المبايع وقد كان النبي ﷺ يأمر الناس بمبايعته على الإيمان والطاعة والجهاد كما بايعوه في الحديبية على الموت أي أن يقاتلوا حتى يموتوا أو ينتصروا، وكان عددهم ألفا وأربعمائة، أو خمسمائة على اختلاف الروايات، فوقع الصلح بينه وبين المشركين ولم يكن قتال إلا مناوشات قليلة وقعت قبل عقد الصلح، وكانوا يبايعونه على ترك المعاصي والتزام الطاعات رجالاً ونساء إلا أنه لم يكن يصافح النساء، وإنما كان يصافح الرجال فقط، ويكتفي في بيعة النساء بالكلام.

قال تعالى في سورة الممتحنة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وفي صحيح البخاري أن النبي ﷺ قال بايعوني على ألا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا، ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولا تعصوني في معروف فبايعناه على ذلك. وسبب بيعة الحديبية أن النبي ﷺ خرج مع أصحابه متوجهين إلى مكة محرمين بالعمرة، فلما وصلوا إلى الحديبية وهي مكان بينه وبين مكة نحو عشرة أميال، بلغ الخبر المشركين بمكة فأخذوا يتأهبون للقتال، فبعث إليهم النبي ﷺ عثمان بن عفان يبلغهم أن النبي ﷺ وأصحابه لم يأتوا لقتال وإنما جاءوا معتمرين، ثم يرجعون إلى المدينة، فبلغ النبي ﷺ أن المشركين قد قتلوا عثمان فبعث مناديا ينادي في أصحابه أن هلموا إلى بيعة رسول الله ﷺ فبايعوه على الموت، وعزم أن يقاتل بهم أهل مكة، مع أنه لم يكن مستعداً للقتال.

ثم ظهر النبي ﷺ أن خبر قتل عثمان غير صحيح فكتب معاهدة الهدنة بين المسلمين والمشركين على أن يرجعوا ولا يعتمروا في تلك السنة، وفي السنة القابلة يأتون إلى مكة فيعتمرون ويبقون ثلاثة أيام ثم يعودون إلى المدينة، وجعلوا مدة الهدنة عشر سنين.

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ ﴾ هو كقوله في سورة النساء: يعني أن الذي بايع رسوله فقد بايعه لأنه هو المبلغ عنه وهو أمينه. ﴿ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾ توكيد لبيعتهم لله. أي من وضع يده في يد النبي ﷺ وعاهده فقد عاهد الله. ﴿ فَمَن نَّكَثَ ﴾ أي نقض عهده ولم يوف ببيعته،

﴿ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ أي وبال النكث لا يعود إلا عليه والله غني عن العالمين.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَـٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ أي ثوابا جزيلاً في الدنيا والآخرة.

الآيات

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ﴾

التفسير

﴿ ٱلْمُخَلَّفُونَ ﴾ الذين خلفهم الله عن صحبة رسوله حين خرج عام الحديبية معتمرا، وهم أعراب غفار، ومزينة، وجهينة، وأشجع، وأسلم، والدئل. وكانوا حول المدينة، وقيل الذين تخلفوا عن رسول الله حين توجه إلى مكة عام الفتح بعد أن كان قد استنفرهم ليخرجوا معه، وخافوا أن يكون قتال وقالوا يذهب إلى قوم قد غزوه في عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه، يعنون بأحد ﴿ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا ﴾ أي منعنا من الخروج معك ما لنا من الأموال والنساء والذراري وليس لنا من يقوم بهم ويخلفنا عليهم ولو تركناهم لضاعوا.

﴿ فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ﴾ ليغفر الله لنا ما وقع منا من التخلف عنك لهذا السبب، ولما كان طلب الاستغفار منهم ليس عن اعتقاد بل على طريقة الاستهزاء فضحهم الله بقوله ﴿ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم ﴾ من طلب الاستغفار وما قبله ﴿ مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ﴾ وهذا هو صنيع المنافقين.

﴿ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾ قل يا محمد فمن يملك لكم من الله شيئا، أي من يقدر أن يمنع عنكم مشيئة الله ﴿ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا ﴾ فقرا أو مرضا أو قتلا ﴿ أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ﴾ غنى وعافية وعزا واستقامة وهذا رد عليهم حين ظنوا أن التخلف عن رسول الله ﷺ يدفع عنهم الضر ويجلب لهم النفع ثم أضرب سبحانه عن ذلك فقال ﴿ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴾ ليس الأمر

كما زعمتم بل علم الله ما أسررتموه وأخفيتموه من سوء النية وخبث الطوية .. ﴿ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ﴾ أي: لن يرجع الرسول والمؤمنون من ذلك الوجه وهو الحديبية أو مكة إلى أهليهم أبدا بل يقتلوا ﴿ وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ أي: زين لكم الشيطان ونفوسكم الأمارة بالسوء ذلكم الظن ﴿ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ﴾ كرره للتوكيد ﴿ وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴾ أي هالكين في علم الله ومن لم يؤمن بالله ورسوله وبما وعد الله به عباده المؤمنين ﴿ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ أي أعددنا ﴿ لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴾ أي: نارا يعذبون فيها بعد عذابهم في الدنيا.

﴿ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يتصرف فيهما كيف يشاء لا يحتاج إلى معين ولا ناصر وإنما أمرهم بالأعمال الصالحة كالجهاد لما يعود عليهم بالنفع والثواب وحذرهم من المعاصي لما يعود بسببها من الضرر والعقاب كما قال تعالى: ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾.

﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ أي كثير المغفرة والرحمة لمن تاب إليه وأطاعه.

﴿ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ هذا إخبار من الله تعالى بما سيقوله المنافقون حين يخرج النبي ﷺ إلى الغزو الذي يرونه هينا لا خطر فيه عليهم وقد رجع النبي ﷺ من الحديبية في ذي الحجة سنة ست للهجرة، فأقام فيها بقيته وبعض المحرم من سنة سبع، وكان يهود خيبر قد تكرر نقضهم للعهد واغتيالهم للمسلمين الذين يمرون بأرضهم. توجه النبي ﷺ وأمر ألا يخرج معه إلى غزوهم إلا الذين كانوا معه في الحديبية فقال المنافقون كما أخبر الله ذرونا نتبعكم أي أتركونا معكم إلى غزو خيبر، ولم تكن غزوة خيبر غنيمة باردة. وقد حاصرهم النبي ووقع بينه وبينهم قتال قتل فيه ناس من المسلمين ولكن المنافقين لا يتقدمون للقتال دائما يريدون المشاركة في الغنائم. وقد حرمهم الله منها، فأمر رسوله أن يقول لهم لن تتبعونا.

﴿ كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ﴾ أي من قبل رجوعنا من الحديبية إن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية خاصة ليس لغيرهم فيها نصيب.

﴿ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ﴾ أي: إنما منعتمونا من الخروج معكم يا أصحاب محمد الذين كانوا معه في الحديبية لحسدكم لنا أن نشاركهم في الغنائم. قال الله تعالى ﴿ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ من الإسلام وهو ما يوافق هواهم، ويجلب لهم شيئا من الحطام أو يكون ذلك

كناية عن عدم علمهم وفهمهم أصلا.

الآيات

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾

التفسير

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ ﴾ المذكورين من الأعراب أهل البادية، ﴿ سَتُدْعَوْنَ ﴾ أي: تؤمرون بقتال قوم ﴿ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾: لا يقدم على قتالهم إلا الصادقون المخلصون الذين يريدون وجه الله، وقد اختلف المفسرون في هؤلاء القوم فقيل هم هوازن وثقيف الذين قاتلهم رسول الله ﷺ بعد فتح مكة وهذا هو الصحيح وقيل هم بنو حنيفة الذين ارتدوا عن الإسلام وقاتلهم أبو بكر الصديق ومعه أصحاب رسول الله جميعاً. وقيل فارس والروم، ولا يصح شيء من ذلك القيل لقوله ﴿ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾ وهذا لا ينطبق إلا على العرب المشركين إن كان الداعي هو رسول الله وإلا فإنه ينطبق على بني حنيفة أيضا ﴿ فَإِن تُطِيعُوا۟ ﴾ الأمر وتقاتلوا ﴿ يُؤْتِكُمُ ﴾ أي: يعطكم الله ﴿ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ وهو النصر والغنيمة والعزة في الدنيا ورضوانه في الآخرة مع ما فيها من النعيم المقيم ﴿ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ ﴾ أي تعصوا وتعرضوا كما فعلتم من قبل في زمن الخروج إلى الحديبية، ﴿ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ في الدنيا بالفضيحة والذلة والإهانة وفي الآخرة بعذاب النار عذابا مؤلماً موجعاً.

﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ﴾ أي إثم ومؤاخذة ﴿ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ﴾ في التخلف عن الجهاد لأنهم عاجزون عذورون. ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ﴾ في جميع ما أمر به على قدر استطاعته. ﴿ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ لا يعلم ما فيها من قرة العين إلا الله ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ﴾ يعرض عن طاعته ﴿ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ موجعا في الدنيا وفي الآخرة.

الآيات

﴿ لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ

وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾

التفسير

﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أكد الله سبحانه هذا الخبر بالقسم المقدر واللام وقد. أنه رضي عن المؤمنين حين بايعوا رسول الله ﷺ تحت الشجرة بالحديبية وكانت هذه الشجرة سمرة جلس تحتها النبي ﷺ ليستظل بها فبايعه أصحابه كما تقدم. وعن نافع قال بلغ عمر بن الخطاب أن ناسا يأتون الشجرة التي بويع تحتها النبي، فأمر بها فقطعت، أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، أقول وإنما قطعها عمر مخافة أن يغلوا في التبرك بها حتى يعبدوها من دون الله.

﴿ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ من الإيمان والصدق ﴿ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ ﴾ سكون النفس واطمئنانها، والأمن والثقة بوعد الله عليهم ﴿ وَأَثَٰبَهُمْ ﴾ أي: جزاهم ﴿ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ وهو فتح خيبر، وأخرج البخاري عن سلمة بن الأكوع قال بايعت رسول الله ﷺ تحت الشجرة، قيل على أي شيء كنتم تبايعون يومئذ قال على الموت.

﴿ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ﴾ أي في خيبر فإن رسول الله ﷺ فتح خيبر عنوة بعد قتال طويل فقسم أرضها ونخيلها بين المجاهدين وصالح أهل خيبر على أن يتولوا الشغل في أرضهم ونخيلهم ولهم نصف الثمرة ونصفها للمجاهدين ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا ﴾ أي غالبا ﴿ حَكِيمًا ﴾ فيما صنعه وشرعه.

﴿ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا ﴾ في المستقبل من أعدائكم المنهزمين في الشرق والغرب ﴿ فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ ﴾ أي غنائم خيبر ﴿ وَكَفَّ أَيْدِيَ ٱلنَّاسِ ﴾ أي: الأعداء ﴿ عَنكُمْ ﴾ في مواطن كثيرة لم يتجرؤوا فيها على قتالكم لتفرحوا بنعمة الله ولتكون تلك المغانم وغيرها من النعم ﴿ ءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أي علامة دالة على صدق الرسول ﷺ في تبليغ ما أمره الله بتبليغه ﴿ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ أي يديم عليكم الهداية ويزيدكم منها ﴿ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ ﴿ وَأُخْرَىٰ ﴾ أي ومغانم وفتوحا أخرى لم تقدروا عليها حتى الآن ﴿ قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ﴾ علما وجعلها لكم موعودة وسينجز لكم وعده بها ويدخل في ذلك الفتوح والمغانم التي جاءت بعد فتح خيبر في حياة النبي ﷺ وبعد وفاته ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ من الفتوح والمغانم والنصر وغير ذلك ﴿ قَدِيرًا ﴾ ولكن ﴿ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا

ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ من الإيمان والثبات والجهاد والإخلاص.

الآيات

﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝ سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾

التفسير

قوله ﴿ وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ ﴾ تثبيت لقلوب المؤمنين وتبشير لهم، أي لو قاتلكم كفار مكة في الحديبية لانهزموا وولوكم الأدبار ظهورهم ولاذوا بالفرار ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ أحداً يواليهم على قتالكم ولا ناصرا ينصرهم لأنهم أهل باطل يعارضون أهل الحق ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ ﴾ أي طريقته وعادته مع أوليائه وحزبه المفلحين المقيمين للعدل والإحسان المتمسكين بكتابه وسنة رسوله ﴿ وَلَن تَجِدَ ﴾ لهذه السنة ﴿ تَبْدِيلًا ﴾ ولا تغييرا أبدا. وكذلك وقع فإن الإسلام لم يزل قاهرا لأعدائه، راياته منصورة وأيامه مشهورة إلى أن بدل المسلمون وغيروا ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ ﴾ وفي الحديث الصحيح إن الله أعطاني لأمتي ألا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم حتى يكون بعضهم يقتل بعضا ويسبي بعضهم بعضا.

الآيات

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾

التفسير

ثم قال تعالى ممتنا على عباده المؤمنين ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ ﴾ منع أيدي الكفار عن قتالكم ومنع أيديكم عن قتالهم دفعا للشر عنكم وإرادة الخير لمن هداه الله إلى الإسلام بعد.

وقد كان صلح الحديبية فتحاً عظيماً فدخل الناس في دين الله أفواجا في تلك الهدنة التي خالط فيها المسلمون الكفار، ورأي هؤلاء من أنوار الإسلام وأخلاقه العظام فأبهرهم وألان قلوبهم وجذبها إلى الإسلام ﴿ بِبَطْنِ مَكَّةَ ﴾ لأن الحديبية بعضها من الحرم وبعضها من الحل وما بين حدود الحرم كله يسمي مكة.

﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ﴾ أي نصركم عليهم، وعن أنس قال لما كان يوم الحديبية هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلا من أهل مكة في السلاح من قبل جبل التنعيم يريدون غزو رسول الله ﷺ فأخذوا فعفا عنهم فنزلت هذه الآية أخرجه أحمد ومسلم. وقد وقعت مناوشات في الحديبية انتصر فيها المسلمون ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴾ أي عالما وهو مجازيكم عنه ﴿ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ أي كفار مكة، كفروا بسبب الشرك وتكذيب الرسول وعداوة المؤمنين.

﴿ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ﴾ أي منعوكم من دخول مكة عام الحديبية لأداء العمرة ﴿ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ﴾ أي ومنعوا الهدي حال كونه محبوسا. منعوه عن بلوغ محله وهو الموضع الذي يحل نحره فيه وهو مكة. وهذه جرائم متعددة، الكفر بالله ورسوله ومنع رسوله والمؤمنين من دخول المسجد الحرام والطواف بالبيت وعزمهم على قتالهم والرسول والمؤمنون أولي بالمسجد الحرام من المشركين، قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾.

وهكذا وقع لهم كما أخبر الله سبحانه. وقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ ﴾ أي لم تعرفوهم لأنهم كانوا مستضعفين متخفين، خوفا على أنفسهم من طغاة كفار مكة ﴿ أَن تَطَـُٔوهُمْ ﴾ الوطأ هنا كناية عن القتل والأذى ﴿ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ ﴾ أي: عار وعيب تعابون به ﴿ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ أي: غير عالمين ولا متعمدين، وجواب لولا محذوف تقديره لما كف الله أيديكم عنهم بل سلطكم عليهم وإنما كف أيديكم عنهم ﴿ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ وهم المستضعفون المذكورون أدخلهم الله في رحمته فحفظهم من الأذى وأتم عليهم نعمته بالإسلام إلى أن انتصر الإسلام وفتحت

مكة وأناس آخرون دخلوا في الإسلام بسبب الهدنة فنالتهم رحمة الله ونعمته ﴿ لَوْ تَزَيَّلُواْ ﴾ أي: تميز المسلمون من المشركين ﴿ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ ﴾ من أهل مكة ﴿ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ بالقتل والأسر والإذلال. ﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أي كان عذاب الله يصيبهم إذ جعل الذين كفروا من أهل مكة ﴿ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ ﴾ الأنفة والغضب وغمط الحق وأهله ﴿ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ ﴾ بصدهم رسول الله ﷺ والمسلمين من المسجد الحرام عن عبادة الله فيه وقولهم لا تسمع العرب أنهم دخلوا علينا مكة على رغم أنوفنا من دون سابق اتفاق ولا هدنة وهذا من التعصب الجاهلي الذي لا يعرف الحق ولا العدل ولا الإنصاف وإنما هو البطر والطغيان وإتباع الهوى كما هو شأن الصهيونيين والمستعمرين المعتدين في هذا الزمان ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ ﴾ وقد تقدم معنى السكينة ﴿ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ومن آثار تلك السكينة أن الرسول ﷺ صالحهم على شروط رأي فيها بعض المسلمين غبنا وتوهموا أن الرسول ظهر فيها بمظهر الضعيف المتساهل في حقه منها أن الرسول وأصحابه يرجعون بلا عمرة ثم يعتمرون من قابل، ومنها أن من هرب من المسلمين من مكة إلى النبي بالمدينة يرده لهم ومن هرب من المسلمين إلى كفار مكة لا يردونه ولكن الرسول لم يفعل ذلك ولم يقبل تلك الشروط إلا بأمر من الله وإلهام وتوفيق فإن الإسلام ربح بتلك الهدنة في بعض سنين ما لم يكن ليربحه بالحرب والقتال في عشرين سنة. وقد أمر النبي ﷺ أصحابه أن ينحروا هديهم أي: الإبل التي ساقوها لينحروها بمكة ويحلقوا شعورهم ويحلوا من عمرتهم بالحديبية وذلك هو الحكم في كل من قصد الحج أو العمرة فمنعه مانع في الطريق وقوله ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ ﴾ هي لا إله إلا الله محمد رسول الله ومعناها اتقاء الشرك بالله بتوحيده في الربوبية والعبادة وتوحيد الربوبية أن توحد الله بأفعاله بأن تعتقد أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يتصرف في العالم إلا الله وتوحيد الإلهية أي العبادة أن توحد الله بأفعالك فلا تدعو لجلب الخير ودفع الضر إلا الله ولا تحكم فيما يقع بينك وبين غيرك من الخلاف إلا كتاب الله وحكم رسوله ولا تطع أحدا في معصية الله ولا تتذلل بقلبك إلا له ولا تجعل شيئا من عبادتك لغيره فهذا شيء مما تدل عليه كلمة التقوى ﴿ وَكَانُوٓاْ ﴾ أي الرسول والمؤمنون ﴿ أَحَقَّ ﴾ بهذه الكلمة ﴿ وَأَهْلَهَا ﴾ اختارهم الله لحمل هذه الأمانة العظيمة وتبليغها عباده في مشارق الأرض ومغاربها فأدرا الأمانة وبلغوا الرسالة فانتشر نور الإسلام في جميع البلاد وعمت

بركته الأغوار والأنجاد ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾ من أحوال كفار مكة ﴿ عَلِيمًا ﴾ فوفق رسوله والمؤمنين إلى سلوك أحسن الطرق في حل تلك المشكلة.

الآيات

﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾

التفسير

كان النبي ﷺ رأي في المنام أنه دخل مكة هو وأصحابه وقضوا المناسك وأتموا الطواف بالبيت ثم حلقوا رؤوسهم، بعضهم حلق وبعضهم قصر أي قص شعر رأسه، فأخبر أصحابه بذلك ثم توجه هو وأصحابه إلى مكة معتمرين فصدهم المشركون عن المسجد الحرام فلم يدخلوا مكة ولا طافوا بالبيت ولا حلقوا هناك ولا قصروا فقال المنافقون، إن محمداً وعدنا بما رآه في المنام أننا ندخل المسجد الحرام ونتم عبادتنا ونحلق أو نقصر، وها نحن اليوم نرجع إلى المدينة دون أن ندخل المسجد الحرام ودون أن نحلق أو نقصر قالوا ذلك طعنا في صدقه فأنزل الله تعالى رداً عليهم ﴿ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ﴾ أي لقد صدق الله رسوله فيما رآه متلبسا بالحق لا ينفك عنه أبداً ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ ثم أكد الله الأخبار بما رآه النبي بالقسم المقدر فقال ﴿ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أي يدخله من شاء الله منكم ممن بقي في الحياة إلى العام القابل وشاء الله توفيقه لمرافقة نبيه ﴿ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ ﴾ أي بعضكم يحلق رأسه وبعضكم يقصره – آمنين – من هجوم أعدائكم أمنا تاماً لا تخافون معه أحداً إلا الله ﴿ فَعَلِمَ ﴾ الله من الخير والحكمة في عقد الهدنة بمعاهدة أهل مكة ﴿ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ ﴾ ﴿ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ – وهو فتح خيبر وصلح الحديبية اللذان تقوي بهما المسلمون وكثر ناصرهم واتسعت رقعة ملكهم وضعف أعدائهم فكان الفتح العظيم وهو فتح مكة الذي لم تقم للكفر بعده قائمة.

﴿ هُوَ ﴾ الله ﴿ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ ﴾ محمداً ﴿ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ أي بهداية من شاء الله سعادته من العرب وغيرهم إلى مصالح أرواحهم وأجسادهم وسعادتهم في دينهم ودنياهم وعاجلهم

وآجلهم ﴿ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾ وهو التوحيد وتصديق جميع الأنبياء والرسل من عرفنا منهم ومن لم نعرف وإقامة العدل والإحسان ﴿ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ﴾ أي: ليعليه وينصره على جميع الأديان الباطلة التي اخترعها المخترعون أو بدلها وغيرها المغيرون ودين الحق واحد علمه الله آدم ثم بعث رسله يجددونه وينفون عنه ما أحدث فيه المحدثون ويردونه إلى أصله وآخر هؤلاء الرسل المصلحين هو محمد ﷺ خاتم النبيين بعثه الله بكتاب وعد بحفظه بألفاظه ومعانيه إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين وهذا الكتاب حجة على جميع أهل الأرض، متواتر، غض، طري، كما أنزل صالح لاتخاذه إماماً في كل زمان ومكان في السياسة والاجتماع والاقتصاد والأخلاق وغير ذلك من ضرورات الحياة، وقد أوفى الله بما وعد به فظهر الإسلام وساد أهله الأرض في ربع قرن واستمروا في قوة خارقة للعادة إلى أن بدلوا وغيروا، وما في القرآن من الحياة والنور والهدي لا يزال كما كان، فمن تمسك به من المتأخرين وجد فيه ما وجده المتقدمون والله ذو الفضل العظيم ﴿ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴾ وقد شهد لنبيه بالصدق والبلاغ وأهل الحق كلهم يشهدون له بذلك.

الآيات

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾

التفسير

﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ في هذه الآية ثناء من الله على رسوله وعلى أصحابه وترغيب للناس في الإقتداء بهم في صفاتهم الحميدة وأعمالهم الجيدة ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ ﴾ شهادة من الله تعالى لمحمد بأنه رسوله والإضافة فيها من التكريم والتشريف ما لا يخفي على البلغاء ﴿ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ أي المؤمنون المصاحبون له المجاهدون معه ﴿ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ المحاربين للإسلام فإن الشدة والغلظة إنما تحمد مع المحارب لا مع كل كافر لقوله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ ﴾ الآية. وقد تقدمت، والشدة على العدو هي من أجل الفضائل لأن

العدو المعتدي يجب أن يقابل بالغلظة والبأس الشديد الذي يخضد شوكته ويرده إلى الصواب وليملأ قلبه هيبة فلا يفكر في العدوان مرة أخرى ﴿ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ متوادون متحابون كما قال النبي ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه وقال النبي ﷺ مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعي له سائر الجسد بالحمى والسهر والحديثان كلاهما في الصحيح، وقال تعالى في سورة المائدة: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ﴾ فالأمة التي يتصف أبناؤها وبناتها بالشدة على العدو واللين والرحمة والتواضع فيما بينهم هذه الأمة تكون دائماً عزيزة منصورة مرزوقة عالية لا تفوقها أمة إلا إذا كانت أكثر تخلقاً منها بهذا الخلق الكريم. وبعكسها الأمة المتخاذلة المتشتتة الأهواء والمقاصد التي هي كما قال تعالى في صفة اليهود الذين كانوا في زمان النبي ﷺ في سورة الحشر: ﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ هذه الأمة المصابة بفساد الأخلاق وبمرض الاستعمار الذي يجعل الواحد منها يعظم الأجنبي المستعمر ويخضع له ويقدس كل شيء يأتي منه ويلاقيه بالبشر والتودد والتذلل ويبادر إلى قضاء حاجته ويتظاهر أمامه بالمروءة والإنسانية، فإذا رأي ضعيفا من أبناء أمته اكفر وجهه وعبس وبسر وخشن جانبه واستأسد عليه وصار سبعا ضارياً وبذل كل جهده ليحرمه من حقه وليضع عليه من المشاق والآلام ما يقدر عليه كما قال الشاعر في الحجاج بن يوسف الثقفي:

أسد علـى وفي الحـروب نعامـة   فتخاء تنفـر مـن صـفير الـصافر

هلا كررت على غزالة في الوغى   بل كان قلبـك في جنـاحي طـائر

وغزالة هذه التي عناها الشاعر هي: زوجة أمير الخوارج، وكانت شجاعة تركب الخيل وتقاتل وكان الحجاج يخافها ثم وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ﴾ أي يحافظون على صلاتهم وهي الصلة الكبرى بين المسلم وبين الله تعالى وهي تنهي عن الفحشاء والمنكر وإنما ينتفع بها الخاشعون الذين هم من خشية ربهم مشفقون ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ أي رزقا معنويا بزيادة الإيمان وإنزال السكينة في القلب، وحسياً بتكثير أسباب المعيشة والرخاء كما قال تعالى في سورة الجمعة: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن

فَضۡلٖ ٱللَّهِ ﴾ ، ﴿ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ أي رضا الله عنهم.

﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ لأن كثرة السجود لله بقلب حاضر مستحضر جلال الله وعظمته راج رحمته لابد أن يظهر أثره على وجه الإنسان وتصرفاته وأخلاقه. وفي الحديث الصحيح. «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاجتهدوا في الدعاء فقمين أن يستجاب لكم**». وفي السجود أعظم تذلل فمن فعله بإخلاص وإقبال على الله نال أعظم رفعة وعزة ﴿ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ ﴾ أي صفتهم في التوراة وهي الكتاب الذي أنزله الله على موسى وفيها ذكر محمد ﷺ وأصحابه وقد أقام البرهان على ذلك الشيخ عبد الحق السبتي في كتابه – السيف الممدود في الرد على أحبار اليهود- . وكان حبر اليهود الأعظم فأسلم وألف ذلك الكتاب وذكر فيه نصوص التوراة ثم ترجمها بالعربية.

﴿ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ ﴾ وصفتهم في الإنجيل ﴿ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ ﴾ أي: فراخه ﴿ فَـَٔازَرَهُۥ ﴾ أي قوى الشطء الزرع ﴿ فَٱسۡتَغۡلَظَ ﴾ أي صار غليظاً بعد أن كان دقيقا ﴿ فَٱسۡتَوَىٰ ﴾ أي قام وارتفع ﴿ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ وهي قصبه وصار جميلا ﴿ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾ شبه الله سبحانه محمداً وأصحابه في دعوتهم للإسلام بالحجة والبرهان زهاء خمس عشرة سنة ثم شفعوا البرهان بالسيف والسنان على من عاداهم وتعرض لهم بالسوء ولم يزالوا في نمو كما ينمو الزرع وتلك علامة دعوة الحق لا تزال في نمو لا يستطيع أحد من أعداءها أن يقفه وإن كان له من القوة المادية والجيوش الجرارة مالا يقاوم حتى تبلغ أشدها وتؤتي أكلها وقوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ ﴾ أي جعلهم الله كذلك ليغيظ بهم أعداء الإسلام ويحرق قلوبهم ومن اقتدي بهؤلاء الأبرار في علمهم وعملهم وأخلاقهم كان لهم نصيب وافر مما آتاهم الله من القوة والعز والنصر المبين ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ شفعوا الإيمان وهو التصديق بالعمل الذي يدل على صدق الإيمان ﴿ مِنۡهُم ﴾ من هنا لبيان الموصول لأن الله مدحهم جميعا وأثني عليهم لأنهم كانوا مؤمنين مجاهدين في سبيل الله فلا يمكن أن تكون للتبعيض ﴿ مَّغۡفِرَةٗ ﴾ لذنوبهم لأنهم غير معصومين من الذنوب كما قال تعالى في سورة الفرقان: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ ﴾.

﴿ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴾ أي ثوابا جزيلا لا حد له ﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾.

الفهرس

الفهرس

الموضوع	الرقم

